قبائل الهون الاسيوية: اصولهم وتحركاتهم التاريخية

م.م. سيف خليل حسين
جامعة سامراء/كلية التربية للعلوم الإنسانية
Saif.khalil@uosamarra.edu.iq

الملخص:

قبائل الهون هي جماعات بدوية آسيوية يُرجَّح أنها نشأت في سهوب آسيا الوسطى وشمال الصين (منغوليا حاليًا)، واعتمدت في حياتها على الرعي والصيد والتنقل المستمر. تميّزت هذه القبائل بقوتها العسكرية الكبيرة، خاصة في القتال على ظهور الخيل واستخدام القوس، مما جعلها من أخطر القوى في زمانها، بدأت تحركاتهم نحو الغرب تدريجيًا، حتى دخلوا أوروبا عام 376م، وهو ما أدى إلى اضطرابات واسعة وأسهم في اندلاع عصر الهجرات، إذ دفعت هجماتهم العديد من القبائل الجرمانية إلى النزوح داخل حدود الإمبراطورية الرومانية.

بلغ الهون ذروة قوتهم في عهد زعيمهم الشهير أتيلا (453–433)، الذي قاد حملات عسكرية واسعة في أوروبا، وهدد الإمبراطوريتين الرومانية الشرقية والغربية، معتمدًا على سياسة القوة والترهيب، كان لغزوات الهون آثار كبيرة، إذ أدت إلى دمار واسع في المناطق التي اجتاحوها، وأسهمت في إضعاف الإمبراطورية الرومانية، مما عجّل بسقوط الجزء الغربي منها لاحقًا. وبعد وفاة أتيلا، تفككت قوة الهون بسرعة، وانتهى دورهم كقوة مؤثرة في التاريخ.

وبذلك يُعدّ الهون من أبرز الشعوب التي كان لها تأثير حاسم في تغيير مسار التاريخ الأوروبي خلال أواخر العصور القديمة.

الكلمات المفتاحية: الهون، اتيلا، الامبراطورية الرومانية ، بالآمر، اولدز.

Al Malweah
for Archaeological
and Historical Studies

Vol 13, Issue 44, May 2026
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

The Asian Huns: Origins and Migration Movements

Asst. Lect. Saif Khalil Hussein
University of Samarra / College of Education for the humanities

Abstract:

The Huns were Asian nomadic tribes believed to have originated in the steppes of Central Asia and northern China (present-day Mongolia). Their way of life depended on herding, hunting, and continuous migration. These tribes were distinguished by their remarkable military strength, particularly in horseback warfare and archery, which made them one of the most dangerous powers of their time. Their westward movements gradually expanded until they entered Europe in 376 AD, causing widespread unrest and contributing to the beginning of the Migration Period, as their attacks forced many Germanic tribes to move into the borders of the Roman Empire. The Huns reached the peak of their power under their famous leader Attila the Hun (433–453 AD), who led extensive military campaigns across Europe and threatened both the Eastern and Western Roman Empires through policies based on force and intimidation. The invasions of the Huns had significant consequences, including widespread destruction in the regions they conquered and the weakening of the Roman Empire, which accelerated the eventual fall of its western part. After the death of Attila, the power of the Huns rapidly disintegrated, and their role as a major historical force came to an end. Thus, the Huns are regarded as one of the most influential peoples who played a decisive role in changing the course of European history during Late Antiquity.

Keywords: Huns, Attila, Roman Empire, Balamber, Uldin.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه وسلم الطيبين الطاهرين وبعد.

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول قبائل الهون التي كان لها دور بارز في تاريخ أوروبا وآسيا خلال العصور القديمة المتأخرة، إذ أسهمت تحركاتهم العسكرية وغزواتهم المتكررة في إحداث تغيّرات سياسية وعسكرية كبيرة، كان من أبرزها إضعاف الإمبراطورية الرومانية الغربية وتهيئة الظروف لسقوطها، فضلًا عن تأثيرهم في حركة القبائل الجرمانية وما نتج عنها من تحولات تاريخية عُرفت بعصر الهجرات الكبرى. كما تكمن أهمية الموضوع في إلقاء الضوء على طبيعة العلاقات بين الشرق والغرب، وبيان أثر الشعوب البدوية في صياغة الأحداث التاريخية والتغيرات الحضارية في تلك المرحلة.

وقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال تتبع نشأة الهون وأصولهم، ودراسة تحركاتهم العسكرية وتوسعهم في آسيا وأوروبا، مع تحليل الأحداث السياسية والعسكرية المرتبطة بهم، والوقوف على أبرز النتائج التي ترتبت على غزواتهم. كما استند البحث إلى المقارنة بين الروايات التاريخية المختلفة وتحليلها للوصول إلى صورة أكثر دقة وموضوعية حول تاريخ الهون ودورهم في التاريخ الأوروبي، ولتحقيق أهداف الدراسة، قُسِّم البحث إلى:

أولاً: أصولهم ونشأتهم

ثانيا: تحركاتهم في اسيا الوسطى وأوربا

ثالثاً: أشهر ملوكهم

رابعاً: نهايتهم

اولاً: أصولهم ونشأتهم

تعود أصول الهون إلى قبائل آسيوية ذات جذور مغولية، عُرفت في بعض المصادر باسم "الهيسبونج" (كانتور، 1997، ج1، ص159). وقد استوطنت هذه القبائل في موطنها الأصلي مناطق شمال الصين، ولا سيّما منغوليا الحالية، وعُرفت بطابعها الحربي وما اتصفت به من الشدة والقسوة في القتال (موس، 1967، ص93).

وقد استقر الهون في المناطق الممتدة بين جبال ألتاي وجبال الأورال، واعتمدوا في حياتهم الاقتصادية على الرعي والصيد، الأمر الذي جعلهم يعيشون حياة الترحال والتنقل المستمر بحثًا عن المراعي ومصادر المياه. كما تميّزوا عن غيرهم من القبائل البربرية ببعض الصفات الشكلية، مثل استدارة الرؤوس، وتسطح الأنوف، وعمق العيون، إضافة إلى الشعر الداكن، وهي صفات ارتبطت بالشعوب الآسيوية البدوية في تلك المرحلة (شيتي، 2003، ص94)

كانت تحركات الهون ترتبط بطبيعة حياتهم البدوية؛ ففي فصل الصيف كانوا يتجهون شمالًا نحو السهول الواسعة الممتدة حتى مناطق الغابات الصنوبرية، في حين كانوا ينتقلون شتاءً إلى حوض بحر قزوين بحثًا عن المراعي والمناخ الملائم لمواشيهم (حاطوم، 1982، ج1، ص23). وقد أسهمت الظروف الطبيعية القاسية التي عاشوها في صقل قدراتهم القتالية، فاشتهروا بالمهارة العالية في ركوب الخيل وبالشراسة في القتال، الأمر الذي منحهم تفوقًا عسكريًا على كثير من القبائل المجاورة (عاشور، د.ت، ج1، ص73) .

بدأت تحركات قبائل الهون في موطنهم الأصلي منذ منتصف القرن الأول قبل الميلاد، إذ اتجهوا في البداية نحو الحدود الصينية محاولين التوسع داخل الأراضي الصينية، إلا أنهم لم يحققوا نجاحًا يُذكر، ولا سيّما خلال عهد الإمبراطور الإمبراطور بوتي، الذي تُعد مدة حكمه من أبرز مراحل التاريخ الصيني لما شهدته من استقرار سياسي وعسكري، فضلًا عن جهوده في مواجهة قبائل الهون والحد من خطرهم. وبعد نجاح الصينيين في صد هجماتهم، عملوا على تشييد سور الصين العظيم **(يُعد سور الصين العظيم من أبرز المنشآت الدفاعية في التاريخ القديم، وقد شُيِّد بهدف حماية الحدود الشمالية للصين من هجمات القبائل البدوية، ولا سيّما قبائل الهون وغيرها من شعوب السهوب الآسيوية. وتعود البدايات الأولى لبناء السور إلى عصر الممالك المتحاربة في الصين، إلا أن الإمبراطور تشين شي هوانغ بعد توحيده الصين سنة 221 ق.م عمل على ربط الأسوار القديمة وتحصينها لتشكيل خط دفاعي متكامل يحدّ من غارات القبائل الشمالية. ثم شهد السور توسعات وتحصينات إضافية خلال عهد أسرة هان، التي واصلت تعزيز الدفاعات الحدودية في مواجهة تحركات الهون (الجزيرة نت، 2025؛ موضوع، 2022). وقد مثّل السور أداة عسكرية وسياسية مهمة للحفاظ على استقرار الصين، كما أسهم في تنظيم طرق التجارة والاتصال، خاصة على امتداد طريق**

الحريـــر. (ديورانـــت، (1988)، ج1 ، ص 74–81))، ليكـون حـاجزًا دفاعيًـا يفصـل بـين الصـين ومنـاطق القبائـل الشـمالية، بهـدف الحـد مـن غـارات الهـون وتقليـل نفـوذهم ، وعقـب فشـل الهـون فـي التوسـع شـرقًا، تحولـت أنظـارهم نحـو الغـرب، إذ تمكنـوا مـن تأسـيس قـوة سياسـية وعسـكرية واسـعة فـي منغوليـا، امتـدت حـدودها مـن تخـوم كوريـا شـرقًا حتـى الحـدود الغربيـة لتركسـتان، الأمـر الـذي مهّـد لبـدء توسـعاتهم اللاحقـة باتجـاه آسـيا الوسـطى وأوروبـا (العبـد، د.ت، ص18؛ عاشـور، د.ت، ص55) .

واسـتطاعوا فـرض احتـرامهم علـى الشـعوب الاسـيوية كمـا توغلـوا فـي روسـيا واسـتمرت عمليـة التوغـل هـذه طيلـة القـرنين الاول والثـاني للمـيلاد اسـتطاعوا طـرد السارمايتين(منسـي، د.ت، ص94) ثـم هـاجموا بـلاد فـارس وارمينيـا وهنغاريـا وقـد ادت هـذه الهجمـات الـى الانحـدار الحضـاري فـي المنـاطق التـي دخلهـا الهـون وقـد اتخـذت هـذه القبائـل مـن هنغاريـا مركـز لها(منسـي، د.ت، ص94).

ثانياً: تحركاتهم في اسيا الوسطى وأوربا

اعتمـد الهـون فـي حيـاتهم الاقتصـادية علـى الرعـي والصـيد، الأمـر الـذي جعلهـم شـديدي الارتبـاط بـالظروف الطبيعيـة والمناخيـة، ولا سـيّما تـوافر المراعـي والميـاه. ولـذلك كـانوا يتعرضـون باسـتمرار لخطـر الجفـاف ونقـص المـوارد، ممـا كـان يـدفعهم إلـى مهاجمـة المنـاطق المجـاورة بعنـف كلمـا تـدهورت أوضـاعهم المعيشـية. وقـد أسـهمت طبيعـة حيـاتهم القاسـية فـي تنميـة مهـاراتهم القتاليـة، فاشـتهروا بالقـدرة الكبيـرة علـى ركـوب الخيـل وتحمـل المشـاق والجـوع والعطـش، وهـو مـا أكسـبهم تفوقًـا عسكريًا واضحًا على خصومهم (مراد وآخرون، د.ت، ص18)

وتشـير المصـادر التاريخيـة إلـى أن منـاطق واسـعة مـن آسـيا تعرضـت لموجـات متكـررة مـن الجفـاف امتـدت قرابـة أربعـة قـرون، منـذ القـرن الثـاني قبـل المـيلاد وحتـى القـرن الثـاني المـيلادي، الأمـر الـذي كـان لـه أثـر مباشـر فـي دفـع القبائـل البدويـة، وفـي مقدمتها الهـون، إلـى الهجـرة والتحـرك نحو الغرب بحثًا عن المراعي والاستقرار (مراد وآخرون، د.ت، ص18)

وفـي ظـل هـذه الظـروف، بـدأ الهـون زحفهـم مـن أواسـط آسـيا، متحـركين علـى ظهـور خيـولهم الصـغيرة عبـر السـهوب والبـراري، حتـى وصـلوا إلـى جنـوب شـرقي أوروبـا فـي أواخـر القـرن الرابـع

الميلادي، وقد اتسمت تحركاتهم بالعنف والشدة، إذ خلّفت جيوشهم الدمار والخراب في المناطق التي مرّت بها، وتمكنت من إزالة العقبات التي واجهتها بسرعة كبيرة، كما مارست ضغطًا متزايدًا على القبائل الجرمانية، ولا سيّما قبائل القوط الشرقيين والقوط الغربيين، مما دفع هذه القبائل إلى النزوح باتجاه الأراضي الرومانية. وفي سنة 376م وصل الهون إلى إقليمي داسيا وترانسلفانيا، وهو ما مثّل بداية مرحلة جديدة من الصراع والتحولات السياسية في أوروبا (فشر، 1966، ص21–22).

ثالثاً: أشهر ملوكهم

تشير بعض الدراسات التاريخية إلى أن النظام السياسي لدى الهون ارتبط بسلسلة من الحكام المنتمين إلى عشيرة تُعرف باسم توكو(Tuku) ، والتي تُقدَّم في بعض المصادر بوصفها فرعًا من سلالة أشيتا وقد ورد في التقاليد التفسيرية للمصادر الصينية أن لقب الحاكم الأعلى لدى الهون كان يُنقل إلى الصيغة الصينية شان(Sanyu Chanyu) ، وهو اللقب الذي استُخدم للدلالة على الزعيم الأعلى أو الإمبراطور ضمن التنظيمات السياسية للقبائل البدوية في آسيا الداخلية، بما يعكس عملية التكييف اللغوي بين المفاهيم السياسية البدوية والمصطلحات الصينية في السجلات التاريخية.

كما تُشير بعض الروايات إلى أن البنية الرمزية للسلطة لدى الهون ارتبطت بمفاهيم ذات طابع قدسي، إذ يُذكر اسم ياكبو بوصفه اللقب الخاقاني أو الاسم الرسمي للحاكم، ويُفسَّر بمعنى «الإله الذي يمنح القداسة»، وهو تأويل يعكس محاولة ربط الشرعية السياسية بالتصورات الدينية أو شبه الدينية السائدة في المجتمعات البدوية في تلك المرحلة.

وتذهب بعض المصادر الصينية إلى أن بدايات الحكم لدى هذه الجماعات تعود إلى فترة مبكرة جدًا قد تُقدَّر بسنة 1766 ق.م، مع الإشارة إلى شخصية تُدعى «جون كوى» بوصفها أحد أوائل الحكام المنسوبين إلى هذا الكيان السياسي. غير أن هذا التأريخ يُعد محل نقاش في الدراسات الحديثة، نظرًا لصعوبة التحقق من دقة التسلسل الزمني في المصادر الصينية القديمة، ووجود تداخل بين الأسطورة والسرد التاريخي.

وعلى الصعيد الجغرافي والسياسي، تُنسب إلى الهون قدرة على تأسيس كيان واسع الامتداد في آسيا، إذ تشير بعض الروايات إلى أن نفوذهم امتد من منطقة بحر قزوين غربًا إلى بحر اليابان شرقًا، ومن جبال الهيمالايا جنوبًا إلى سيبيريا شمالًا، وهو توصيف يعكس حجم الاتحادات القبلية في سهوب آسيا أكثر من كونه حدودًا سياسية ثابتة بالمعنى الحديث للدولة.

وفي هذا الإطار، يُعد «بالامير (Balamir) «من أوائل القادة البارزين الذين ارتبطت أسماؤهم بمرحلة تشكّل القوة السياسية للهون، إذ يُنظر إليه بوصفه أحد المؤسسين الأوائل للكيان السياسي الذي تطوّر لاحقًا إلى اتحادات أكثر تنظيمًا ونفوذًا في آسيا الداخلية(Öztuna, 1988, pp. 31–35) .

تشير بعض الدراسات التاريخية إلى أن القائد بالامير(Balamir) ، والذي يُذكر في بعض الروايات بوصفه حفيد القائد مِته(Mete) ، قد تسلّم السلطة في الفترة ما بين (355–365م)، إذ ارتبطت بدايات حكمه بمرحلة تحرك واسعة للقبائل الهونية نحو مناطق جديدة في أوراسيا. وقد استقرت هذه الجماعات في البداية في المناطق العليا من بحر قزوين والبحر الأسود، قبل أن تتجه لاحقًا نحو السواحل الشمالية للبحر الأسود، في إطار توسعات عسكرية وسياسية متتابعة.

وتذكر بعض المصادر أن هذه التحركات أسفرت عن صدامات مع القوى الإقليمية القائمة، ومنها القوط الشرقيون، إذ تشير الروايات إلى أن الهون تمكنوا من إضعاف نفوذهم، ما دفع بقاياهم إلى الانسحاب نحو مناطق أوسع في أوروبا الشرقية، ثم إلى أوكرانيا، في سياق سلسلة من الهجرات القسرية الناتجة عن الضغط العسكري. كما تُشير بعض التفسيرات التاريخية إلى أن هذه التحولات ساهمت في إعادة تشكيل الخريطة السكانية في أوروبا، من خلال دفع مجموعات من القبائل الجرمانية والسلافية نحو مناطق جديدة، وهو ما يُنظر إليه في بعض الأدبيات بوصفه أحد العوامل المساهمة في تشكّل الجغرافيا العرقية لأوروبا لاحقًا (أوزتونا، 1988، ص 31).

وفي السياق نفسه، تُربط هذه الأحداث تاريخيًا بمرحلة أوسع من التحولات التي شهدتها أوروبا، إذ يُشار إلى أن هذه الهجمات وما تبعها من اضطرابات كانت من العوامل التي ساهمت في انهيار الإمبراطورية الرومانية الغربية، والتي انتهت رسميًا عام 476م، وهو الحدث الذي يُعد تقليديًا بداية العصور الوسطى في التاريخ الأوروبي (أوزتونا، 1988، ص 32).

كما تذكر بعض الروايات أن بالامير قاد قواته عبر نهر الدانوب باتجاه تراقيا، في حين تحركت قوات أخرى عبر نهر الدون وجبال القوقاز، وصولًا إلى مناطق في الأناضول. وتُنسب إلى قادة عسكريين تابعين له، مثل الأمير باسيت (Basit) والأمير كورسيك(Kursik) ، حملات عسكرية شملت مناطق متعددة مثل أرخدوم، ومالطة، وأورفة، وأنطاكيا، قبل أن تعود هذه القوات لاحقًا نحو شمال البحر الأسود. وتشير بعض المصادر إلى أن هذه التحركات تمت عبر مسارات جغرافية واسعة شملت القوقاز مرورًا بفلسطين ولبنان وسوريا، ثم الأناضول الوسطى والشرقية، وصولًا إلى أذربيجان الشمالية، في إطار حركة عسكرية موسعة تعكس طبيعة التنقلات العسكرية للقبائل الهونية في تلك المرحلة (أوزتونا، 1988، ص 31–32).

اما أولدز 400–410م فقد تولّى القائد أولدز (Oldz) قيادة القبائل الهونية بعد وفاة والده بالامير(Balamir) ، إذ عمل على توسيع نطاق النفوذ السياسي والعسكري الذي أرساه سلفه. وقد اتسمت تحركاته العسكرية باتساع جغرافي لافت، إذ تشير بعض الروايات إلى أنه تمكن من إلحاق الهزيمة بالقوات المتحالفة التي شكلتها بعض القبائل الجرمانية ضد النفوذ الهوني في معركة فريزولي (Friesole) (أوزتونا، 1988، ص 32).

وعقب هذه المعركة، واصل أولدز مطاردة تلك القبائل المهزومة، ما أدى إلى موجات نزوح واسعة باتجاه غرب أوروبا. وقد عبرت بعض الجماعات، ومنها الوندال (Vandals)وبعض المجموعات الألنانية، نهر الراين متجهة نحو أوروبا الغربية، في سياق تحركات سكانية مرتبطة بالضغط العسكري المتزايد. وتشير بعض التفسيرات التاريخية إلى أن هذه التطورات أسهمت في إعادة تشكيل التوازنات السياسية في أوروبا خلال تلك المرحلة وفي الإطار ذاته ، يُنسب إلى أولدز نجاحه في توسيع نطاق نفوذ الهون ليشمل مساحات شاسعة امتدت – بحسب بعض الروايات – من مناطق في آسيا الوسطى (كقزقستان) وصولًا إلى نهر الراين في غرب أوروبا، وهو ما يُصوَّر في بعض الأدبيات بوصفه محاولة لتوحيد فضاء جغرافي واسع بين آسيا وأوروبا تحت سلطة سياسية واحدة (أوزتونا، 1988، ص 32).

اما أتيلا تُشير بعض الدراسات إلى أن أتيلا (Attila) كان ينحدر من أسرة حاكمة داخل القبائل الهونية، إذ يُذكر أنه ابن مونزدك، وحفيد أولدز زعيم الهون. وقد تولّى قيادة القبائل الهونية في سياق صراع داخلي على السلطة عقب وفاة عمه روجيلا، ولم يتبقَّ في إطار الوراثة

سوى أبناء أخيه، وهما بليدا وأتيلا. وتشير الروايات إلى أن أتيلا تمكن من الانفراد بالسلطة بعد أن قام بقتل أخيه بليدا عام 433م، ليبدأ بذلك مرحلة جديدة من الحكم الفردي (عمران، 1986، ص 79).

وبذلك انفرد أتيلا بحكم الهون في الفترة ما بين (433–453م)، إذ يُصوَّر في المصادر التاريخية بوصفه شخصية ذات حضور سياسي وعسكري بارز، تمكن خلال فترة قصيرة من توسيع نطاق نفوذ الهون ليشمل مناطق واسعة في أوروبا وآسيا. كما تشير بعض الروايات إلى أنه تلقّى قدرًا من التعليم والثقافة الكلاسيكية خلال فترة إقامته في محيط البلاط الروماني الشرقي بكونه ضيفًا لدى الإمبراطور، وهو ما ساهم – بحسب بعض التحليلات – في تشكيل وعيه السياسي والعسكري (حاطوم، 1982، ج1، ص 23).

اتسم حكم أتيلا بسياسة عسكرية صارمة اعتمدت على القوة والردع، إذ وُصف في بعض المصادر الأوروبية بأنه اتبع سياسة ترهيب تجاه خصومه، ما جعله يُعرف في الأدبيات الغربية بلقب (سوط الله)(Flagellum Dei) ، وهو لقب يعكس الصورة السلبية التي تشكلت عنه في الذاكرة التاريخية الأوروبية (هلستر، 1988، ص 59) كما نُسب إليه قول يعكس طبيعة الحروب في تلك المرحلة: "**إن الحشائش لا تنمو في الأرض التي تطؤها فرسه**" (عمران، 1986، ص 79).

في السنوات الأولى من حكمه، اتجه أتيلا إلى توسيع نفوذ الهون عبر حملات عسكرية وسياسية امتدت في مناطق واسعة من أوروبا، مع الاعتماد على سياسة التحالفات المؤقتة وتوظيف القوى العسكرية التابعة للهون ضمن الصراعات القائمة داخل الإمبراطورية الرومانية. وقد أسهمت هذه السياسة في تعزيز موقعه العسكري، لا سيما من خلال مشاركته في النزاعات ضد البرجنديين والقوط الغربيين، وتشير المصادر إلى أنه في عام 440م بدأ أتيلا تنفيذ سلسلة من الهجمات باتجاه الحدود الشرقية للإمبراطورية الرومانية، ضمن استراتيجية ضغط عسكري متصاعد، الأمر الذي دفع الإمبراطورية إلى إعادة تنظيم قواتها وسحب جزء منها من جبهات أخرى لمواجهة التهديد المتزايد (ديورانت، د.ت، ج1، ص 80).

في عام 441م، عبرت قوات أتيلا نهر الدانوب، إذ تمكنت من السيطرة على عدد من المدن والمراكز المهمة مثل مرميوم وسينجيدونوم (بلغراد الحالية)، كما امتد التقدم العسكري

ليشمل نيش وصوفيا، مع وصول التهديد إلى مشارف القسطنطينية. وقد دفعت هذه التطورات الإمبراطور ثيودوسيوس الثاني إلى إرسال جيش لمواجهة الهجوم، إلا أن القوات الرومانية مُنيت بالهزيمة أمام الجيش الهوني. ونتيجة لذلك، لم يجد الإمبراطور خيارًا سوى التفاوض والتوصل إلى معاهدة صلح، نصّت على فرض جزية سنوية على الإمبراطورية الرومانية بلغت سبعمائة رطل من الذهب، إضافة إلى تنازلات إقليمية شملت التخلي عن الضفة اليمنى لنهر الدانوب (اليوسف، 1966، ص 46؛ ديورانت، د.ت، ج1، ص 80).

في عام 447م، استأنف أتيلا هجماته العسكرية مستفيدًا من حالة الاضطراب داخل الإمبراطورية الرومانية الشرقية، إذ توسعت حملاته لتشمل مناطق في تراقيا وتسالونيكي وسكوذيا، إضافة إلى أجزاء من جنوب روسيا. وقد رافق هذه العمليات العسكرية موجات واسعة من النهب والدمار طالت عددًا كبيرًا من المدن، يُقدَّر بنحو سبعين مدينة وفق بعض الروايات، كما سُجلت حالات أسر وسبي للسكان، بما في ذلك النساء، وهو ما ترتب عليه – بحسب بعض التفسيرات التاريخية – اختلاط سكاني وثقافي بين الهون والسكان المحليين في المناطق الخاضعة لنفوذهم. ويُشار في بعض الأدبيات إلى أن هذه التحولات السكانية كان لها أثر طويل الأمد في بعض الملامح الإثنية داخل المناطق الممتدة من الشرق الأوروبي حتى مناطق في بافاريا، كما أسهمت حملاته في تدمير أجزاء واسعة من البلقان، مما أدى إلى اضطراب كبير في الطرق التجارية بين الشرق والغرب (ديورانت، د.ت، ج1، ص 81).

وبعد أن استنزف أتيلا قدرًا كبيرًا من قدرات الإمبراطورية الرومانية الشرقية، اتجه لاحقًا نحو الغرب، متذرعًا بظرف سياسي اعتبره مبررًا للتوسع. ويتمثل هذا المبرر في قضية هونوريا (Honoria)، أخت الإمبراطور فالنتينيان الثالث، التي كانت قد نُفيت إلى القسطنطينية عقب حادثة داخل البلاط الإمبراطوري. وتشير الروايات إلى أن هونوريا، رغبةً في الخلاص من النفي، أرسلت خاتمها إلى أتيلا طالبةً المساعدة، وهو ما فسره أتيلا على أنه عرض زواج. وبناءً على ذلك، طالب أتيلا بالحصول على هونوريا مع نصف الأراضي الغربية التابعة للإمبراطورية الرومانية، وهو طلب رفضه البلاط الإمبراطوري. وقد أدى هذا الرفض إلى إعلان أتيلا الحرب على الإمبراطورية الرومانية الغربية (ديورانت، د.ت، ج1، ص 83)

لكن السبب الحقيقي في توجهه نحو الغرب هو أن مرسيان الامبراطور الجديد في الشرق رفض دفع الجزية التي كانت مفروضة عليه عام 450م وعلى اثر هذا اعلن اتيلا حربه ضد الامبراطورية وقد عزم على ان يقوم بفتح حاسم فشق طريقه عبر نهر الراين الادني في عيد الفصح عام 451م وكان عدد مقاتلين جيشه نصف مليون مقاتل نهبو مدينة تريبر ومتز وثم احرقوها فقذف ذلك الرعب بأهلها كما تقدم اتيلا الى اوليان على امل ان يلزم القوط الغربيون الحياد الا انهم دخلوا الى جانب الامبراطور ونتيجة دخولهم مع الامبراطور قد قلب الموازين على اتيلا عندما التحم الطرفين في سهل موريك(حاطوم، 1982، ج1، ص26)، قتل في هذا المعركة ملك القوط الغربيون واخضر اتيلا الى الانسحاب وبذلك انتهت الاسطورة التي تقول بان الهون قوم لا يقهرون(منسي، د.ت، ص:96، رستم، 1950، ج1، ص:120).

تشير بعض المصادر إلى أن عدد القتلى في إحدى المعارك بلغ نحو (162,000) جندي، إلا أن أتيلا لم يتراجع عن خططه التوسعية تجاه إيطاليا، بل واصل الاستعداد لحملة عسكرية جديدة في العام التالي. وفي هذا السياق، تُعد مدينة أكويليا (Aquileia) أولى المدن التي استولى عليها خلال زحفه، إذ تعرّضت لتدمير واسع النطاق لم تستعد بعده مكانتها التاريخية. أما مدينتا فيرونا (Verona) وفيسينزا(Vicenza) ، فقد تعامل معهما الجيش الهوني بدرجة أقل من العنف، إذ سُجلت معاملة أكثر تساهلًا نسبيًا مقارنة بغيرهما من المدن التي تعرضت للدمار(برون، 2000، ص 95).

وبعد هذه التوسعات، أصبح الطريق نحو روما مفتوحًا أمام القوات الهونية، في حين كان الجيش الروماني بقيادة أيتيوس (Aetius) محدود العدد وغير قادر على مواجهة مباشرة جديدة. ومع ذلك، توقفت قوات أتيلا عند نهر بو(Po) ، في ظروف لم تتضح تفاصيلها بشكل كامل في المصادر التاريخية (برون، 2000، ص 95).

وتشير الروايات إلى أن الإمبراطور الروماني أرسل وفدًا تفاوضيًا ضم البابا ليو الأول Leol **((هو أحد أبرز بابوات الكنيسة الكاثوليكية في العصور القديمة، وتولّى منصب أسقف روما بين عامي 440م و461م. يُعد من الشخصيات المحورية في تاريخ المسيحية الغربية، سواء من إذ دوره اللاهوتي أو السياسي خلال أواخر العصر الروماني، من الناحية الكنسية، لعب ليو الأول دورًا مهمًا في تعزيز سلطة بابوية روما، إذ كان من أوائل البابوات الذين أكدوا**

بوضوح على مركزية أسقف روما باعتباره خليفة القديس بطرس، مما أسهم في ترسيخ الأساس اللاهوتي للسلطة البابوية في الغرب اللاتيني. كما ارتبط اسمه بمواقف لاهوتية حاسمة، أبرزها رسالته العقائدية المعروفة بـ Tome of Leo التي كان لها تأثير مباشر في مجمع خلقيدونية عام 451م، والذي حسم جدالات طبيعة المسيح في الفكر المسيحي المبكر. (Brown, P. (1971)، واثنين من أعضاء مجلس الشيوخ، إذ جرت محادثات مع أتيلا لم تُنقل تفاصيلها بشكل مباشر في المصادر. وقد أسفرت هذه المفاوضات عن قرار أتيلا بالانسحاب نحو مقره في منطقة المجر، مع إطلاق تهديد بالعودة في العام التالي لمواصلة الحملة، كما تُرجع بعض المصادر سبب انسحابه إلى تفشي مرض الطاعون داخل صفوف جيشه، مما أثر على قدرته العسكرية وأجبره على التراجع (برون، 2000، ص 96).

رابعاً: نهايتهم

بعد انهزام اتيلا في موقعة سهل موريك عام 451م التي تعد من المعارك الفاصلة في التاريخ اذ انقضت هذه المعركة غرب اوربا من وحشية الهون الذي اوفدوا عبر نهر الراين تحت قيادة اتيلا الا انه قام بالسنة التالي بهجوم سقطت امام هجماته اكويليا وقلاع اخرى وان لم تسقط راقنا بفضل المستنقعات التي كفلت لها الامن ولكن زحفه على روما لم يتم لانتشار الطاعون وسفارة البابا ليو الاول قد منع دخول روما وفي عام 453م قام اتيلا بعد عودته بتجهيز حملة القسطنطينية من اجل فتحها الا انه فشل وفي نفس السنة قتل(منسي، د.ت، ص96-97)

عقب وفاة أتيلا، شهدت الدولة الهونية حالة من التفكك السياسي والاستنزاف الداخلي، إذ استغلت بعض الشعوب الخاضعة هذا الفراغ في السلطة، ما أدى إلى اندلاع صراعات داخلية وهجمات مضادة ضد الهون. وتشير بعض المصادر إلى أن الهون تعرضوا لهزيمة حاسمة في معركة نيداو (Nedao) عام 454م، وهو ما مثّل نقطة تحول رئيسية في انهيار نفوذهم في أوروبا الشرقية، ولم يمضِ وقت طويل حتى تلاشت قوتهم السياسية بشكل تدريجي (عاشور، د.ت، ص 56).

وفي السياق الأوسع، أسهمت الغارات الهونية خلال القرنين الخامس الميلادي في دفع عدد من القبائل الجرمانية والشرقية إلى التحرك نحو وسط وغرب أوروبا، إذ أعادت هذه

التحركات تشكيل الخريطة السياسية في القارة الأوروبية، وأسفرت عن نشوء كيانات وممالك جديدة في الأراضي التي كانت خاضعة سابقًا للإمبراطورية الرومانية الغربية. وقد أدّى هذا التحول إلى بروز قوى سياسية جديدة ورثت أجزاء من النظام السياسي الروماني وأسست أنماط حكم خاصة بها، خاصة بعد عزل آخر أباطرة روما الغربية عام 476م، وهو الحدث الذي يُعد تقليديًا نهاية الإمبراطورية الرومانية الغربية وبداية تشكل أوروبا الوسيطة، وقد أثارت هذه التحولات اهتمام الباحثين الأوروبيين منذ القرن الثامن عشر، إذ انقسمت التفسيرات العلمية حول طبيعة دور الهون في هذه التحولات؛ فبينما يرى فريق أن الغزوات الهونية كانت عاملًا مباشرًا في تسريع انهيار البنية الإمبراطورية الرومانية، يذهب فريق آخر إلى أن هذه التحولات كانت نتيجة تفاعلات داخلية أعمق داخل الإمبراطورية نفسها، وليس فقط بفعل الضغوط الخارجية (حاطوم، 1982، ص 30).

تنقسم التفسيرات التاريخية في الدراسات الأوروبية الحديثة إلى اتجاهين رئيسيين حول طبيعة تأثير «الغزوات البربرية» على الإمبراطورية الرومانية الغربية. يتمثل الاتجاه الأول في المدرسة «الجرمانية»، التي تميل إلى تقديم رؤية إيجابية نسبيًا تجاه الشعوب الجرمانية، إذ تنظر إليها بوصفها عنصرًا مجددًا للحضارة الرومانية المتداعية، وساهمت في إعادة تشكيل البنية السياسية والاجتماعية في أوروبا الغربية خلال فترة الانحدار الإمبراطوري (حاطوم، 1982، ص 30).

أما الاتجاه الثاني، وهو ما يُعرف بالاتجاه «الرومانسي» في بعض الأدبيات التاريخية، فيذهب إلى أن دخول هذه الشعوب لم يُحدث تغييرًا جوهريًا في البنية الحضارية للغرب، إذ يرى أن الطابع الروماني ظل عميق الجذور ومستمر التأثير، وأن الخلافات الناتجة عن هذه المرحلة كانت ذات طابع سياسي بالدرجة الأولى أكثر من كونها تحولًا حضاريًا شاملًا (حاطوم، 1982، ص 30).

وفي سياق التحولات السياسية الناتجة عن تلك الغزوات، تشير المصادر إلى أن تحركات الهون والقبائل الجرمانية أسهمت في دفع موجات سكانية واسعة نحو غاليا وإيطاليا دون وجود مقاومة فعالة تُذكر في بعض المراحل، إذ يُعد القائد أيتيوس (Aetius) من أبرز القادة الرومان

الـذين حـاولوا مواجهـة هـذا التوسـع، ويُنظـر إليـه بوصـفه مـن آخـر القـادة العسـكريين الكبـار فـي الغرب الروماني.

كمـا يُـذكر أن أودواكـر (Odoacer) ، وهـو قائـد مـن أصـول جرمانيـة، تمكـن مـن السـيطرة علـى الحكـم فـي رومـا، وأصـبح الفاعـل السياسـي الحقيقـي فـي إيطاليـا، إذ قـام بإرسـال الرمـوز الإمبراطوريـة إلـى الإمبراطـور الشـرقي زينـون، فـي خطـوة تُعـد تقليـديًا علامـة علـى نهايـة الحكـم الإمبراطـوري فـي الغـرب وبدايـة مرحلـة العصـور الوسـطى. وقـد فُسـرت هـذه الخطـوة علـى أنهـا لا تعنـي إنكـار شـرعية الإمبراطوريـة، بـل الإقـرار بوجـود إمبراطـور واحـد للشـرق والغـرب، كمـا ورد فـي رسـالته إلـى زينـون: "**إن الغـرب لـيس بحاجـة إلـى إمبراطـور خـاص، وإن إمبراطـورًا واحـدًا يكفـي للمنطقتين**" (حاطوم، 1982، ص 26).

والحقيقـة أن سـلطة زينـون فـي الغـرب كانـت نظريـة ولـيس لهـا اي مفعـول مـادي لان البرابـرة هـم المعسـكرون فـي النصـف الغنـي مـن الامبراطوريـة اي اصـبح كـل ملـك بربـري لـه ملـك خـاص وغيـر خاضع لأي قوة أخرى(حاطوم، 1982، ص26) .

الخاتمة:

في ضوء ما تم عرضه في هذا البحث حول قبائل الهون وتحركاتهم نحو الغرب، يتبين أن هذه الجماعات البدوية ذات الأصول الآسيوية لم تكن مجرد قوة عسكرية عابرة، بل شكّلت جزءًا من تحولات واسعة شهدها فضاء أوراسيا خلال أواخر العصور القديمة. فقد ارتبط ظهور الهون بنمط حياة يعتمد على الرعي والتنقل، وأسهمت كفاءتهم العسكرية، ولا سيما في استخدام الفروسية والقتال، في تمكينهم من فرض حضورهم على مساحات جغرافية واسعة.

وقد أظهرت الدراسة أن تحرك الهون غربًا لم يكن حدثًا منفصلًا، بل جاء ضمن سلسلة من التفاعلات المعقدة بين الشعوب في آسيا وأوروبا، شملت الضغوط العسكرية والتحولات السكانية وتبدل موازين القوى. وأسهمت هذه التحركات في دفع عدد من القبائل الجرمانية إلى النزوح داخل حدود الإمبراطورية الرومانية، الأمر الذي أدى إلى إعادة تشكيل الخريطة السياسية في أوروبا الغربية خلال تلك المرحلة.

كما تبين أن ذروة القوة الهونية، خصوصًا في عهد أتيلا، ارتبطت بتوسّع عسكري واسع النطاق ترك آثارًا سياسية واقتصادية غير مباشرة على الإمبراطورية الرومانية، تمثلت في تراجع الاستقرار الداخلي وتزايد الضغط على الحدود الإمبراطورية. وفي المقابل، ساهمت هذه الظروف في بروز أدوار جديدة داخل البنية السياسية الأوروبية، من بينها تصاعد نفوذ المؤسسات الدينية، مثل دور البابا ليو الأول في التفاوض وإدارة الأزمات.

وتخلص الدراسة إلى أن أهمية الهون لا تكمن فقط في كونهم قوة غازية، بل في كونهم عاملًا ضمن منظومة أوسع من التحولات التاريخية التي أسهمت في إعادة تشكيل أوروبا في أواخر العصور القديمة، ومهدت لمرحلة جديدة من التنظيمات السياسية والاجتماعية التي ارتبطت ببداية العصور الوسطى.

وبذلك يمكن القول إن تحركات قبائل الهون نحو الغرب مثّلت عنصرًا فاعلًا في ديناميات التغير التاريخي في أوراسيا، سواء من خلال تأثيرها المباشر في الصراعات العسكرية، أو من خلال آثارها غير المباشرة في تحريك الشعوب وإعادة توزيع مراكز القوة في القارة الأوروبية.

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصادر العربية والمعربة:**

1. أسد رستم. (1950) الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب .دار المكشوف.
2. برون، ج. (2000) .تاريخ أوروبا الحديث ، ترجمة :علي المرزوقي، ط2 . الأهلية.
3. حاطوم، ن. (1982) تاريخ العصور الوسطى في أوروبا .دار الفكر.
4. ديورانت، و. (1988) .قصة الحضارة ، ترجمة: محمد زيدان، مج4
5. شيتي، ل. ج. (2003)تاريخ العالم الغربي ، ترجمة: محمد الدين حنفي شاهين، دار النهضة.
6. عاشور، س. ع. (د.ت) .أوروبا في العصور الوسطى: تاريخ سياسي ط3
7. عمران، س. (1985) أوروبا في العصور الوسطى .بيروت.
8. عمران، م. س. (1986) معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى .دار المعرفة الجامعية.
9. عمر، ع. م. (1990) دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر.
10. علي مراد، خ. وآخرون. (د.م.) دراسات في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر.
11. اليوسف، ع. ا. (1966) الإمبراطورية البيزنطية .المكتبة العصرية.
12. فشر، هـ. أ. ل. (1966) تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ،محمد مصطفى زيادة والسيد الباز الحديثي، مترجم، ج1، ط4). دار المعارف.
13. هلستر، س. و. (1988) أوروبا في العصور الوسطى ، نرجمة ،محمد فتح الشاعري. مكتبة الأنجلو.
14. مسعد العبد، ع. (2000) دراسات في تاريخ الشرق الأقصى .دار المعرفة الجامعية.
15. موس، هـ. س. ل. ب. (1967) ميلاد العصور الوسطى، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد دائرة الاتحاد العربي.
16. ماركو بولو. (1977) رحلات ماركو بولو، ترجمة عبدالعزيز جاويد، القاهرة.
17. هلال، ع. ا. م. (1997) العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي .عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
18. أوزتونا، ي. (1988) تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة: عدنان محمد سلمان: مؤسسة فيصل.

- **المصادر الأجنبية:**

1. Brown, P. (1971). The rise of Western Christendom: Triumph and diversity, A.D. 200–1000. Oxford University Press.

List of sources and references:

1. Rustum, Asad. (1950). The Romans: Their Politics, Civilization, Religion, Culture, and Relations with the Arabs. Dar Al-Makshouf.
2. Brown, J. (2000). Modern History of Europe (Translated by Ali Al-Marzouqi, 2nd ed.). Al-Ahliyya Publishing House.
3. Hattoum, N. (1982). History of the Middle Ages in Europe. Dar Al-Fikr.
4. Durant, Will. (1988). The Story of Civilization (Translated by Muhammad Zidan, Vol. 4).
5. Shetty, L. J. (2003). History of the Western World (Translated by Muhammad Al-Din Hanafi Shahin). Dar Al-Nahda.
6. Ashour, S. A. (n.d.). Europe in the Middle Ages: A Political History (3rd ed.).
7. Imran, S. (1985). Europe in the Middle Ages. Beirut.
8. Imran, M. S. (1986). Features of European History in the Middle Ages. Dar Al-Ma‘rifa Al-Jami‘iyya.
9. Omar, A. M. (1990). Studies in Modern and Contemporary European History.
10. Ali Murad, K., et al. (n.d.). Studies in Modern and Contemporary European History.
11. Al-Yusuf, A. I. (1966). The Byzantine Empire. Al-Maktaba Al-‘Asriyya.
12. Fisher, H. A. L. (1966). History of Europe in the Middle Ages (Translated by Muhammad Mustafa Ziyada & Al-Sayyid Al-Baz Al-Hadithi, Vol. 1, 4th ed.). Dar Al-Ma‘arif.
13. Helster, S. W. (1988). Europe in the Middle Ages (Translated by Muhammad Fathi Al-Sha‘iri). Anglo Library.
14. Mas‘ad Al-Abd, A. (2000). Studies in the History of the Far East. Dar Al-Ma‘rifa Al-Jami‘iyya.
15. Moss, H. S. L. B. (1967). The Birth of the Middle Ages (Translated by Abdulaziz Tawfiq Jawid). Arab Union Press.
16. Marco Polo. (1977). The Travels of Marco Polo (Translated by Abdulaziz Jawid). Cairo.
17. Hilal, A. A. M. (1997). Relations between the Mongols and Europe and Their Impact on the Islamic World. Ain for Humanitarian and Social Studies and Research.
18. Oztuna, Y. (1988). History of the Ottoman State (Translated by Adnan Muhammad Salman). Faisal Foundation.
19. Brown, P. (1971). The Rise of Western Christendom: Triumph and Diversity, A.D. 200–1000. Oxford University Press.

Vol 13, Issue 44, May 2026
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X